

أبو عمران موسى بن عيسى
الففجومي الفاسي
محدثا

د. عبد اللطيف الجيلاني

ملخص البحث

ارتبطت شهرة الإمام أبي عمران الفاسي عند الباحثين بإمامته في الفقه المالكي، الذي يعدّ واحداً من ألمع علمائه وكبار رواه، ولهذا فإن جلّ الكتابات التي تناولت سيرة هذا الرجل الفذّ كانت تخرص على إبراز عطائه الفقهي ومكانته بين الفقهاء المالكية؛ مع أنه كان متفنناً في جملة من العلوم؛ منها علم الحديث؛ فقد كان الشيخ أبو عمران معدوداً ضمن الحفاظ، مشهوراً بالثقة والعدالة والضبط.

وبالرجوع إلى مختلف المصادر التي عرّفت به أو نقلت عنه نتوصل إلى أنه سار على نهج المحدثين واقتفى أثرهم في عنايته بالأخذ عن كبار المحدثين والمسندين، وتجشّمه عناء الرحلة في سبيل الاستزادة من الطلب والتحصيل، وحرصه على سماع الحديث وتحمل الأسانيد العالية، ومن مظاهر شغفه بعلو الإسناد ما تذكره بعض مصادر ترجمته من جمعه جزءاً خرج فيه عوالي حديثه في مائة ورقة، كما أنه أولى اهتماماً خاصاً بضبط الأسماء والألفاظ.

ولم يقف إمامنا عند هذا الحد فاهتم بمعرفة أحوال الرجال والنظر في تعديلهم وتجريحهم؛ مما لا يدع مجالاً للشك أن معرفته بالحديث لا تقل عن معرفته بالفقه، ولو كتب لتأليف الشيخ أبي عمران الفاسي أن تصل إلى أيدينا اليوم لأمكننا أن نمتح من معرفته الحديثية، ولكن حسبنا إشارات متناثرة هنا وهناك في بطون عدد من المصادر تؤكد لنا عنايته بالحديث النبوي وارتسامه برسوم أهله.



الباحث في سطور

د. عبد اللطيف الجيلاني (Jilani5@maktoob.com)

- أستاذ التعليم العالي بكلية الآداب والعلوم الإنسانية - جامعة الحسن الثاني - عين الشق - الدار البيضاء.

- رئيس مركز الدراسات والأبحاث وإحياء التراث بالرابطة المحمدية للعلماء.
من أعماله المنشورة:

1. الحافظ ابن رُشيد السبتي وجهوده في خدمة السنة النبوية.
2. الإنصاف فيما بين علماء المسلمين في قراءة بسم الله الرحمن الرحيم في فاتحة الكتاب من الاختلاف، للإمام أبي عمر ابن عبد البر القرطبي (ت463هـ)، دراسة وتحقيق.
3. استدعاءات الإجازة، لابن رُشيد السبتي (ت721هـ)، دراسة وتحقيق.

تعدّ فاس أشهر الخواضر العلمية بالمغرب، فهي دار الفقه والأدب⁽¹⁾، وهي مهوى أفئدة طلبة العلم، إليها يرحلون، وفي مساجدها يتعلمون، ومن أفواه شيوخها يقتبسون، ولهذا كان التعريف بعلمائها الأعلام وفقهائها العظام من أنبل المقاصد وأسمى المطالب.

ومن أسف أنه لم ينل علماء هذه المدينة الخالدة حقهم من التنويه والتعريف إلا في قرون متأخرة⁽²⁾؛ خلافاً لنظرائهم من علماء العدو الأندلسية الذين انطلق مشروع التعريف بهم وتدوين سيرهم وأخبارهم منذ قرون مبكرة وباهتمام كبير من الخليفة الحكم المستنصر في القرن الرابع الهجري، يقول الإمام المؤرخ المحدث أبو عبد الله بن عبد الملك المراكشي (ت703هـ) - فيما نقله عنه صاحب كتاب مفاخر البربر -: «كان بفاس من الفقهاء الأعلام، والأجلة أعيان الأنام، ما ليس في غيرها من بلدان الإسلام؛ إذ هي قاعدة المغرب ودار العلم والأدب، ولكن أهلها أهملوا ذكر محاسن علمائهم، وأغفلوا تخليد مفاخر فقهاءهم»⁽³⁾، ولا شك أن الأوضاع المتقلبة التي شهدتها هذه المدينة في بعض فترات تاريخها وتعاقب عدد من الدول عليها كان له أثر كبير في ندرة المؤلفات في تراجم علماء فاس.

(1) انظر برنامج التجيبي (ص268)، ومفاخر البربر (ص172).

(2) من الكتب التي بين أيدينا اليوم في تراجم الفاسيين قطعة من كتاب المستفاد في مناقب العباد بمدينة فاس وما يليها من البلاد لمحمد بن قاسم التميمي (ت603هـ)، وكتاب جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام بمدينة فاس لأبي العباس بن القاضي المكناسي (ت1025هـ)، وكتاب الروض العاطر الأنفاس في أخبار الصالحين من أهل فاس لابن عيشون الشراط (ت1109هـ)، وسلوة الأنفاس لمحمد بن جعفر الكتاني (ت1345هـ).

(3) مفاخر البربر (ص172).

ومن أشهر العلماء الذين ينتسبون إلى فاس الإمام أبو عمران موسى بن عيسى ابن يحج الغفجومي الفاسي، هذا الإمام الجليل، والفقير البارع نجده في بعض المصادر يمثل علماء هذه المدينة، ويحتل اسمه الصدارة من بين العلماء المنسوبين إليها، فإذا ذكرت فاس ذكر أبو عمران الفاسي، قال الأمير ابن مأكولا (ت 475 هـ) في كتابه الإكمال في رفع الأرتياب عن المؤلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب: «باب الفاسي والقاشي، أما الفاسي بالفاء فهو أبو عمران موسى بن عيسى بن يحج الفاسي، وكنية يحج أبو حاج الفاسي، فقيه أهل القيروان في وقته، وتوفي بها، وكان قد سمع بالمغرب من جماعة من العلماء من فاس، وهو بلد بالمغرب في أقصاه يقارب سبتة، ورحل وسمع بالمشرق»⁽¹⁾، ويقول أبو سعد عبد الكريم بن محمد السمعاني (ت 562 هـ) في كتابه الأنساب: «الفاسي: بفتح الفاء وفي آخرها السين المهملة، هذه النسبة إلى فاس وهي بلدة بالمغرب في أقصاه يقارب سبتة من بلاد العدو، وهي مدينة عظيمة سكنها الصالحون، وعامتهم حملة القرآن على مذهب مالك بن أنس... كان بها جماعة من أهل العلم منهم أبو عمران موسى بن عيسى بن يحج الفاسي، وكنية يحج أبو حاج، فقيه أهل القيروان في وقته ونزل بها»⁽²⁾، ثم ذكر علماء آخرين ممن ينتسبون إلى فاس، وحينما عرّف محمد بن عبد المنعم الحميري (ت 727 هـ) مدينة فاس في كتابه الروض المعطار قال: «ومن فاس أبو عمران الفاسي الفقيه الإمام المشهور بالعلم والصلاح»⁽³⁾، وفي صنيع هؤلاء العلماء وغيرهم دلالة على ارتباط ذكر أبي عمران بمدينة فاس التي يعود أصله

(1) الإكمال (7/ 80).

(2) الأنساب (3/ 428).

(3) الروض المعطار (ص 435).

إليها، وكذلك مكانته العلمية المتميزة وانتشار ذكره في الخافقين، ويبدو أن اشتهاره عند علماء المشرق يعود إلى صدئ رحلته إلى المشرق التي تكررت وكان له فيها صولات وجولات، ومناظرات ومناقرات.

وبالرجوع إلى المصادر التي دَوَّنت سيرة أبي عمران الفاسي وخلدت مآثره نجده موصوفاً فيها بالإمامة في الفقه المالكي بحيث يمكن اعتباره رائداً من رواد المدرسة الفقهية المالكية في الغرب الإسلامي وعلماء بارزا من أعلامها، ثم نجده كذلك متبحراً في سائر العلوم والفنون، فهو الإمام المقرئ، والحافظ المحدث، والراوي الناقد، والأصولي الحاذق، واللغوي الماهر، قال ابن عمار في رسالته: «كان أبو عمران الفاسي إماماً في كل علم، نافذاً في علم الأصول، مقطوعاً بفضله وإمامته»⁽¹⁾، ولما كانت معالم شخصية أبي عمران متعددة، ومعارفه متنوعة آثرت أن أُجَلِّيَ في هذه الورقات مكانته في علم الحديث، وإن لم نجد اليوم بين أيدينا كتاباً من تأليفه نستقي منه الأدلة والشواهد على ما يمكن تقريره من مسائل وقضايا في هذا البحث فحسبنا ما ورد في مصادر ترجمته وما تناثر في بعض المؤلفات من أخباره وأقواله وأسانيده، وبالرغم من ندرة المعلومات المتعلقة بعطاء أبي عمران الفاسي في علم الحديث إلا أن ما تمكنت من الظفر به من إفادات بعد البحث والتنقيب نستطيع من خلاله استجلاء مكانته في علم الحديث.

❑ أبو عمران المحدث الحافظ الثقة:

أبو عمران الفاسي معدود ضمن حفاظ الحديث، موصوف بالثقة والعدالة والضبط، نقل القاضي عياض عن أبي القاسم حاتم بن محمد الطرابلسي الأندلسي (ت 469 هـ) - وهو من أقران أبي عمران الفاسي ومن شاركه في ملازمة الشيخ أبي الحسن القابسي - أنه قال: «كان أبو عمران من أعلم الناس وأحفظهم، جمع حفظ المذهب المالكي إلى حفظ حديث النبي ﷺ، ومعرفة معانيه، وكان يقرأ القرآن بالسبعة وجودها؛ مع معرفته بالرجال، وجرحهم وتعديلهم»⁽²⁾. فهو كما يذكر عنه حاتم الطرابلسي كان من أحفظ الناس للحديث النبوي، وأعرفهم بفقهه ومعانيه، مع درايته بأحوال الرجال وتعديلهم وتجريحهم.

وقد اعتمد القاضي عياض وابن بشكَّوَال والذهبي وغيرهم شهادة حاتم بن محمد الطرابلسي في حق الشيخ أبي عمران، ونقلوا عبارته في التنويه به والثناء عليه، ولا شك أنهم كانوا على دراية بمكانة حاتم بين كبار المحدثين بالأندلس في عصره وصلته الوثيقة بالشيخ أبي عمران الفاسي عند مقامه بالقيروان وملازمتها الشيخ أبا الحسن القابسي، وبناء عليه لم يتردد مؤرخ الإسلام الإمام الذهبي في إدراجه ضمن الحفاظ في كتابه تذكرة الحفاظ⁽³⁾.

ومما تميَّز به الشيخ أبو عمران الفاسي بين المحدثين في عصره اشتهاؤه بالثقة والعدالة والفضل، فهو لم يتلبس بما يشين عدالته أو ينجرم مروءته، قال عمر الصقلي:

(1) ترتيب المدارك (7/ 247).

(2) ترتيب المدارك (7/ 246).

(3) تذكرة الحفاظ (3/ 1097).

«أبو عمران الثقة، الإمام، الدِّينُ، المعلم»⁽¹⁾. ويبدو أن عدالته قد أصبحت مضرب المثل في عصره، كما يتبين من نص سؤال وُجِّه إلى تلميذه أبي القاسم عبد الجليل بن أبي بكر الربعي القروي المعروف بالديباجي وبابن الصابوني (ت بعد 460 هـ)⁽²⁾، قيل له: إذا أخبرك أبو عمران الفاسي: هذا خط فلان من غير إسناد إلى غير ما أخبرك الشيخ لثقتك بإخباره وصدقه، فأجاب: إذا أخبرني الشيخ أنه شاهد صاحب الخط يكتبه فهو واحد عدل لا يوجب خبره العلم⁽³⁾. ونقل أبو العباس أحمد بن يحيى اللونشريسي (ت 914 هـ) في المعيار عن أبي القاسم عبد الخالق بن عبد الوارث السيوري (ت 460 هـ) قوله: «وحكى من أثق به عن ابن أبي زيد أنه يقبل قول الثلاثين منهم، وزاد في السؤال الذي بعده أن الثقة هو أبو عمران الفاسي...»⁽⁴⁾.

▣ أبو عمران الراوية المسند:

اجتهد أبو عمران الفاسي في طلب الحديث والرحلة في سبيل لقاء كبار الشيوخ وتحصيل الروايات العالية، لذلك لم يكن مستغرباً أن يقول تلميذه حاتم بن محمد الطرابلسي: «ولم ألق أحداً أوسع منه علماً، ولا أكثر رواية»⁽⁵⁾.

وبالنظر في أسماء مشيخة أبي عمران الفاسي نجده أخذ عن جماعة من الشيوخ كان لهم القُدح المَعْلَى في حفظ الحديث ومعرفة علله ورجاله، من أشهرهم أبو الحسن

(1) ترتيب المدارك (246/7).

(2) انظر ترجمته في التكملة (3/133)، وجذوة الاقتباس لابن القاضي (2/387).

(3) انظر: فتاوى البرزلي (4/79)، والمعيار المغرب للونشريسي (10/196).

(4) المعيار المغرب (3/268).

(5) ترتيب المدارك (246/7).

علي بن محمد بن خلف المعافري القابسي المالكي (ت 403 هـ)⁽¹⁾، قال عنه الذهبي: «الإمام الحافظ الفقيه العلامة عالم المغرب... وكان عارفاً بالعلل والرجال، والفقه والأصول والكلام، مصنفًا يقظاً دَيِّناً تقياً، وكان ضريراً، وهو من أصحّ العلماء كتباً، كتب له ثقات أصحابه، وضبط له بمكة صحيح البخاري، وحرّره وأتقنه رفيقه الإمام أبو محمد الأصيلي»⁽²⁾.

ومن شيوخه الأندلسيين أبو محمد عبد الله بن إبراهيم الأصيلي (ت 392 هـ)، قال عياض: «كان من حفاظ مذهب مالك، ومن العالمين بالحديث وعلله ورجاله، رحل إلى المشرق وكتب بمكة صحيح البخاري عن أبي زيد المروزي الفقيه، وأثنى عليه الدارقطني فقال: حدثني أبو محمد الأصيلي ولم أر مثله، وله كتاب الدلائل في اختلاف مالك وأبي حنيفة والشافعي»⁽³⁾.

ومن شيوخه الأندلسيين أبو عثمان سعيد بن نصر بن أبي الفتح القرطبي (ت 395 هـ)، كان من أهل الرواية والاجتهاد والدراية بطلب العلم والحديث⁽⁴⁾.

(1) ترجمته في ترتيب المدارك (7/ 92)، ووفيات الأعيان (3/ 320)، ومعالم الإيمان لابن الدباغ (3/ 168)، وسير أعلام النبلاء (17/ 158)، وتذكرة الحفاظ (3/ 1079)، والديباج المذهب (2/ 92).

(2) سير أعلام النبلاء (17/ 158-159).

(3) انظر ترجمته في تاريخ علماء الأندلس (1/ 290)، وترتيب المدارك (7/ 135)، وسير أعلام النبلاء (16/ 560).

(4) انظر ترجمته في الصلة (1/ 210)، وبغية الملتبس (ص 313)، وسير أعلام النبلاء (17/ 80).

ومن شيوخه الأندلسيين أبو القاسم عبد الوارث بن سفيان بن جَبْرُون (ت 395 هـ)، روى عن قاسم بن أصبغ، وكان أوثق الناس فيه وأكثرهم ملازمة له، وكان شيخاً صالحاً عفيفاً⁽¹⁾.

ومن شيوخه الأندلسيين أبو الفضل أحمد بن قاسم بن عبد الرحمن التميمي التاهرتي البزاز (ت 395 هـ)، كان ذا زهد وتعبد وانقباض مع الثقة والعلم⁽²⁾.

ومن شيوخه الأندلسيين أبو زيد عبد الرحمن بن يحيى بن محمد العطار، له رحلة إلى المشرق سمع فيها حمزة بن محمد الكناني وجماعة من أكابر العلماء⁽³⁾.

ومن شيوخه الذين أخذ عنهم بالعراق أبو الحسن علي بن أحمد بن عمر البغدادي المعروف بابن الحمّامي (ت 419 هـ) أخذ عنه ببغداد، وكان هذا الشيخ متفرداً بعلو الإسناد في وقته في القراءات والحديث⁽⁴⁾؛ حتى إن أبا الفتح ابن أبي الفوارس قال: «لو رحل رجل من خراسان لسمع كلمة من أبي الحسن الحمّامي أو أبي أحمد الفرضي لم تكن رحلته عندنا ضائعة»⁽⁵⁾.

(1) انظر ترجمته في جذوة المقتبس (ص 276)، والصلة (2/ 382)، وسير أعلام النبلاء (1/ 84).

(2) انظر ترجمته في جذوة المقتبس (ص 132)، والصلة (1/ 84)، وبغية الملتبس (ص 188)، وسير أعلام النبلاء (17/ 79).

(3) انظر ترجمته في جذوة المقتبس للحميدي (ص: 260).

(4) انظر ترجمته في تاريخ بغداد (11/ 329)، وسير أعلام النبلاء (17/ 402).

(5) سير أعلام النبلاء (17/ 402).

ومن شيوخه العراقيين أبو أحمد الفرضي (ت 406 هـ)⁽¹⁾، أحد شيوخ العراق ومن سار ذكره في الآفاق كما يقول الذهبي في تاريخ الإسلام، وكان قد اجتمعت فيه أدوات الرياسة من علم وقرآن وإسناد وحالة متسعة من الدنيا، وكان مع ذلك أروع الخلق⁽²⁾.

ومن شيوخه العراقيين الإمام الكبير شيخ الشافعية أبو الحسن أحمد بن محمد بن أحمد بن القاسم الضبي البغدادي ابن المحاملي (ت 415 هـ)⁽³⁾.

ومن شيوخه العراقيين الإمام الحافظ المحقق الرحال أبو الفتح محمد بن أحمد بن محمد بن فارس البغدادي المعروف بابن أبي الفوارس (ت 412 هـ)⁽⁴⁾.

وأخذ بالعراق أيضاً عن أبي الطيب المحمدي وأبي العباس الكوخي، وأبي الحسن ابن الرفك، وأبي عبد الله ابن بكر الرازي، وأبي القاسم الصفري، وأبي عبد الله الجعفي القاضي، وأبي أحمد بن جامع الدّهان، وهلال الحفّار، وأبي الحسين بن المفضل العطار، وغيرهم⁽⁵⁾.

(1) واسمه عبيد الله بن محمد بن أحمد، انظر ترجمته في اللباب في تهذيب الأنساب (2/ 422)، توضيح المشتبه (6/ 228)، تاريخ الإسلام (9/ 106).

(2) تاريخ الإسلام (9/ 107).

(3) انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء (17/ 403).

(4) انظر ترجمته في تاريخ بغداد (1/ 352)، وسير أعلام النبلاء (17/ 223)، وتذكرة الحفاظ (3/ 1053).

(5) انظر ترتيب المدارك (7/ 244).

ومن شيوخه بمكة الحافظ الإمام المجود العلامة شيخ الحرم أبو ذرّ عبد بن أحمد الأنصاري الهروي المالكي (ت 434 هـ)، صاحب التصانيف، وراوي صحيح البخاري⁽¹⁾، وقد حصل بينه وبين هذا الشيخ جفوة⁽²⁾.

ومن شيوخه بمكة الإمام المحدث الثقة أبو القاسم عبيد الله بن محمد البغدادي السَّقَطي المجاور (ت 406 هـ)⁽³⁾.

ومن شيوخه الذين أخذ عنهم بمصر الشيخ المحدث المسند أبو الحسن عبد الكريم ابن أحمد بن أبي جدار (ت 397 هـ)⁽⁴⁾.

وأخذ بمصر أيضاً عن الإمام العلامة، شيخ المالكية ببغداد القاضي أبي محمد عبد الوهاب بن علي بن نصر البغدادي (ت 422 هـ)⁽⁵⁾.

وسمع بمصر أيضاً من أبي عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن عبيد المعروف بابن الوشا (ت 397 هـ)، وهذا الشيخ كما يقول القاضي عياض كان شديد المباينة للعبّيين، وهو الذي حبس مع السباع فلم تضره ولا عدّت عليه⁽⁶⁾.

(1) انظر ترجمته في تاريخ بغداد (11/ 141)، وترتيب المدارك (7/ 229)، وتبيين كذب المفتري لابن عساكر (ص 255)، وسير أعلام النبلاء (17/ 554).

(2) حكى قصة وقوع هذه الجفوة بينهما الذهبي وعلّق عليها. انظر السير (17/ 554).

(3) انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء (17/ 236).

(4) انظر ترجمته في كتاب وفيات قوم من المصريين لابن الحبال (ص 82)، تاريخ الإسلام (8/ 775).

(5) انظر ترجمته في تاريخ بغداد (11/ 31)، وترتيب المدارك (7/ 220)، وسير أعلام النبلاء (17/ 429).

(6) ترتيب المدارك (7/ 87).

ومن شيوخه الذين سمع منهم بمصر أبو الحسن علي بن الحسن بن محمد بن العباس بن فهر البزار الفهري، قال أبو عمران الفاسي: تفقه بمصر وبمكة، ولم ألق مثله⁽¹⁾.

وعند تردد الشيخ أبي عمران على هؤلاء الشيوخ حظي بصحبة بعض أقرانه الذين اشتهروا فيما بعد وأصبح لهم شأن عظيم في علم الحديث، كالحافظ حاتم بن محمد الطرابلسي (ت 469 هـ) والحافظ ابن عبد البر النمري القرطبي (ت 463 هـ) الذي ولد معه في سنة واحدة، وكان السبب في دلالة على كبار شيوخ الحديث بالأندلس⁽²⁾.

ومن مظاهر عناية الشيخ أبي عمران بالحديث سلوكه مهيع المحدثين واقتفاؤه أثرهم في المبادرة إلى الرحلة في طلب العلم، وكما لا يخفى فالرحلة سنة متبعة عند المحدثين لا تكاد تجد محدثاً إلا وله رحلة يقصد فيها حواضر العلم في عصره باحثاً عن كبار الشيوخ لأجل الأخذ والتلقي عنهم، وتذكر المصادر أن الشيخ أبا عمران رحل عن فاس إلى الأندلس، ثم منها إلى القيروان، ثم المشرق فدخل الحجاز والعراق، وعند عودته فضل الاستقرار بالقيروان، وكانت له رحلة أخرى آخر عمره حجّ فيها ولقي الشيخ أبا ذرّ عبد بن أحمد الهروي.

ومن مظاهر عنايته بالمشيخة والإسناد صنعه فهرسة يُعرف فيها شيوخه، وما تحمل عنهم من الروايات سواء بطريق السماع أو القراءة، أو الإجازة أو غيرها من طرق التحمل كما جرت عادة المحدثين بذلك.

(1) ترتيب المدارك (7/ 237)، وقال الصفدي: «كان موجوداً في حدود الأربعين والأربعمئة». الوافي بالوفيات (20/ 214).

(2) نقل ابن بشكوال عن ابن عبد البر قوله: «وكان صاحبي عندهم، وأنا دللته عليهم» الصلة (2/ 577).

وقد نسب إليه هذه الفهرسة القاضي عياض في الغنية⁽¹⁾، وذكرها عبدالحى الكتاني في كتابه فهرس الفهارس⁽²⁾.

ولسنا نعلم من أمر هذه الفهرسة التي تعد من بواكير الفهارس المغربية شيئاً⁽³⁾، علماً أنه لم تصل إلينا كتب فهارس علماء المغرب الأندلس التي تعود إلى القرن الخامس الهجري كفهرسة ابن عبد البر وغيره.

ومن خلال تتبع سريع اقتنصت مجموعة من أسانيد أبي عمران الفاسي إلى طائفة من كتب الحديث، أهمها كتاب الموطأ، وكتاب صحيح البخاري.

فأما إسناده إلى صحيح البخاري - الذي يعتبر من أوائل رواته بالغرب الإسلامي⁽⁴⁾ - فهو يرويه عن شيخه أبي الحسن علي بن محمد بن خلف القابسي، عن أبي زيد محمد بن أحمد المروزي، عن محمد بن يوسف الفربري، عن محمد بن إسماعيل البخاري⁽⁵⁾، ويرويه بإسناد آخر عن شيخه أبي محمد عبد الله بن إبراهيم الأصيلي، قال: حدثنا أبو زيد محمد بن أحمد المروزي، وأبو أحمد محمد بن محمد بن مكى الجرجاني، جميعاً عن الفربري، عن البخاري⁽⁶⁾.

(1) الغنية (ص 228).

(2) فهرس الفهارس (1/ 159)، وأشار إلى أنه يرويه بسنده إلى أبي بكر ابن خير عن عياض عن ابن عتاب وابن غلبون عنه.

(3) بل يعتبرها الدكتور عبد الله المرباط الترغي أقدم فهرسة مغربية ورد ذكرها في المصادر حسبها وقف عليه. فهارس علماء المغرب (ص 108).

(4) انظر: قبس من عطاء المخطوط المغربي (1/ 84-85).

(5) أورده القاضي عياض في مشارق الأنوار على صحاح الآثار (1/ 8)، وهو - أي عياض - يروي صحيح البخاري من طرق كثيرة منها طريق يتصل بسند أبي عمران الفاسي هذا.

(6) أورده ابن عطية في فهرسته (ص 65)، وهو - أي ابن عطية - يروي - صحيح البخاري من طرق كثيرة من طريق يتصل بسند أبي عمران هذا.

وأما إسناده إلى الموطأ برواية ابن القاسم فهو يرويه عن شيخه أبي محمد بن أبي زيد، عن أبي بكر بن اللّباد، عن يحيى بن عمر الأندلسي، عن سحنون بن سعيد التنوخي، عن عبد الرحمن بن القاسم المصري، عن مالك بن أنس⁽¹⁾.

ومن كتب الحديث التي يرويها أبو عمران الفاسي إلى مؤلفيها كتاب التاريخ الكبير المبسوط لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، يرويه عن أبي الحسن محمد بن الحسين بن الفضل القطان، عن المستملي، عن أبي أحمد الدلال المذكور، عن البخاري رحمه الله⁽²⁾.

ومنها كتاب أحكام القرآن، للقاضي إسماعيل بن إسحاق البغدادى (ت 282هـ)، يرويه عن أبي الحسن أحمد بن محمد بن الصلت القرشي، عن إسماعيل بن محمد بن إسماعيل الصفار، عن إسماعيل بن إسحاق القاضي⁽³⁾.

ومنها كتاب تصحيح المحدثين، لأبي الحسن علي بن عمر الدارقطني (ت 385هـ)، يرويه عن أبي الفتح محمد بن أحمد بن فارس بن سهل المعروف بابن أبي الفوارس، قال: أخبرني به أبو الحسن الدارقطني رحمه الله⁽⁴⁾.

ولم يقتصر الشيخ أبو عمران على رواية كتب الحديث؛ إذ نجده يروي جميع تواليف شيخه أبي بكر ابن الطيب الباقلاني⁽⁵⁾، ومعلوم أن جلّ تواليف الباقلاني في العقائد.

(1) أورده أبو طاهر السلفي في معجم السفر (ص 371)، وهو - أي السلفي - يروي الموطأ برواية ابن القاسم من طريق أبي عمران الفاسي بسند أبي عمران هذا.

(2) رواه من طريقه هذا الإسناد ابن خير في فهرسة ما رواه عن شيوخه (ص 205).

(3) أورده ابن الأبار في كتابه المعجم في أصحاب القاضي الإمام أبي علي الصدي (ص 38).

(4) رواه من طريقه هذا الإسناد ابن خير في فهرسة ما رواه عن شيوخه (ص 204).

(5) فهرسة ابن عطية (ص 75).

ولأجل علو إسناده وسمو مكانته واشتهاره بالدين والثقة والفضل تنافس الطلبة في الأخذ عنه، قال حاتم بن محمد الطرابلسي: «أخذ عنه الناس من أقطار المغرب والأندلس، واستجازه من لم يلقه»⁽¹⁾، ومن دلائل مكانة الشيخ أبي عمران في الرواية وسمو منزلته بين المسندين في عصره أنه أصبح يجري ذكره على ألسنة تلاميذه في صدر مشيختهم كما هو الشأن بالنسبة لأبي محمد عبد الكريم بن أحمد بن القاسم القباري المعروف بالخُلُقاني المؤذن الذي أدرك أبا عمران الفاسي وطال عمره إلى أن توفي سنة (512 هـ)؛ أي بعد أكثر من ثمانين عاما من رؤيته أبا عمران الفاسي، قال الحافظ أبو الطاهر السلفي: «وقد ذكر لي أنه رأى... أبا عمران الفاسي لما قدم الإسكندرية حاجا»⁽²⁾، ومما يدل على علو أسانيده وتنافس الناس في الأخذ عنه أنه كان يحضر مجالسه الصبيان للرواية عنه⁽³⁾ فقد ذكر الحافظ أبو طاهر السلفي أن الشيخ أبا القاسم عبد الملك بن علي بن حميد القيرواني نزيل الإسكندرية - وهو ممن جاوز المائة - كان يقول: «حملني أبي إلى أبي عمران الفاسي وأنا صغير بالقيروان فمسح على رأسي ودعا لي»⁽⁴⁾، واحتل الشيخ أبو عمران مكانة خاصة في نفوس تلاميذه لعنايته بهم وفرط اهتمامه بتعليمهم ونصحهم وتوجيههم، ومن تلاميذه الذين أعلنوا إعجابهم به الشيخ عبد الله بن رشيح القرطبي (ت 419 هـ)، رحل من الأندلس

(1) ترتيب المدارك (7 / 246).

(2) معجم السفر (ص 182).

(3) رواية الصبيان الذين كان يحضرهم آباؤهم مجالس السماع ولم يبلغوا بعد سن التمييز جائزة عند المحدثين - ويشترط بعضهم عند الأداء التنصيص على أن روايته كانت حضورا.

(4) معجم السفر (ص 202).

فاستوطن القيروان، واختص بأبي عمران الفاسي وتفقه به، وكان أديبا شاعرا عفيفا خيرا، وفي شيخه أبي عمران أكثر شعره⁽¹⁾.

ومن تلاميذه المشاهير أبو عمر أحمد بن محمد بن يحيى بن الحذاء التميمي القرطبي (ت 467 هـ) الذي يروي عنه جميع تواليفه، ومن طريقه يرويها أبو بكر محمد ابن خير الإشبيلي في فهرسة ما رواه عن شيوخه⁽²⁾.

ويبدو أن وفود الطلبة القادمين إلى القيروان في أواخر حياة الشيخ أبي عمران كانت تتجه نحو بيته ومجلس إقرائه لأجل الأخذ عنه، ولهذا فإن تلاميذه بلغوا كثرة يعسر معها إحصاؤهم، وقد أشار القاضي عياض إلى جملة من تلاميذه، ثم قال: «وجاعة من الفاسيين والسبتيين والأندلسيين»⁽³⁾.

أبو عمران المحدث الناقد:

مما يعزز مكانة الشيخ أبي عمران الفاسي بين المحدثين كونه من المتكلمين في الرجال والعالمين بالجرح والتعديل، ولا شك أنه كان يتوفر على الشروط التي تؤهله لذلك من العدالة والورع واليقظة والمعرفة بأسباب الجرح والتعديل⁽⁴⁾، وليس بين أيدينا سوى بعض النقول اليسيرة عنه في بيان حال بعض الرواة الذين في غالب الظن

(1) نفح الطيب (2/ 647)، ولمراجعة ترجمته ينظر: التكملة لكتاب الصلة (2/ 239)، والذيل والتكملة (4/ 225).

(2) فهرسة ما رواه عن شيوخه (ص 440).

(3) ترتيب المدارك (7/ 245).

(4) ذكر الإمامان الذهبي وابن حجر الشروط التي يجب توفرها في المعدل والمجرح. انظر: الموقظة (ص 82)، ونزهة النظر (ص 70-72).

أنه ترجمهم في تعاليقه التي نسبها إليه القاضي عياض في ترتيب المدارك⁽¹⁾ ونقل عنها، أو في فهرسته، وكلاهما أي التعليق والفهرسة من جملة ما فُقد - حسب المعطيات المتوفرة بين أيدينا لحد الآن- من تراثنا العربي النفيس، ولو وُجدًا لأمكننا معرفة عدد الرواة الذين تكلم فيهم ولوصلنا أيضاً إلى تحديد منهجه في الجرح والتعديل، ومن الرواة الذين ورد النقل عن أبي عمران في بيان حالهم أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عَيْشُون الطُّلَيْطِي، قال القاضي عياض: وتكلم فيه أبو عمران الفاسي ومسلمة بن قاسم، قال أبو عمران: وقال مسلمة: أخذ كتب ابن قادم القروي الحنفي ونسبها إلى نفسه وحملت عنه⁽²⁾، ومنهم بشر بن علي الطُّلَيْطِي، يروي عن عبيد الله بن يحيى بن يحيى، قال الذهبي: غمزه أبو عمران الفاسي⁽³⁾.

وهناك عدد من الرواة أثنى عليهم أبو عمران الفاسي على طريقة المؤرخين وعامتهم من شيوخه⁽⁴⁾.

ومهما يكن من أمر فهذه النصوص التي عثرت عليها رغم ضآلتها كافية في الدلالة على عناية أبي عمران الفاسي بجرح الرواة وتعديلهم.

(1) في المقدمة عندما أفصح عن مصادره التي اعتمد عليها. (29 / 1). وهذه التعاليق يقينا هي غير التعليق على المدونة الذي ينقل عنه عياض كثيرا في التنبيهات، وقد ذهب إلى هذا الأستاذ محمد محفوظ في تراجم المؤلفين التونسيين (4 / 10).

(2) ترتيب المدارك (6 / 173).

(3) المغني في الضغفاء (1 / 106).

(4) انظر ترتيب المدارك (6 / 210-211، 248، 263)، (7 / 45-49، 237).

معرفة بمناهج التصنيف عند المحدثين:

كان الشيخ أبو عمران على دراية بمناهج المصنفين، قادراً على إجراء المقارنة بينها، وتقديم بعضها على البعض الآخر؛ يشهد لذلك ما نُقل عنه من تفضيل كتاب التقصي لمسند الموطأ لصاحبه الحافظ أبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري على كتاب الملخص لمسند الموطأ⁽¹⁾ لشيخه أبي الحسن علي بن محمد بن خلف المعافري القابسي (ت 403 هـ)، قال القاضي عياض في الغنية: «حدثنا صاحبنا الفقيه أبو بكر ابن قَتَحُون قال: حدثني أبي قال: كنت يوماً جالساً في مجلس القاضي أبي الوليد الباجي وشاوره إنسان في نسخ كتاب الملخص للقابسي فقال له الباجي: فهلا كتاب التقصي لأبي عمر؟ وفضله عليه وبلغني مثل هذا عن الفقيه أبي عمران الفاسي»⁽²⁾، وقال أبو محمد ابن عطية في فهرسته: «سمعت أبا علي - يعني الجياني الغساني - يقول: سمعت أبا عمر بن عبد البر يقول: وقع كتاب التقصي لأبي عمران الفاسي فقال: هذا خَيْرٌ من الملخص للقابسي رحمه الله»⁽³⁾، وفي برنامج أبي القاسم القاسم بن يوسف التجيبي (ت 730 هـ): «رُوي عن طاهر بن مفوز راوية أبي عمر أنه قال: سمعت أبا عمر يقول مراراً: ما وجدتم في كتابي هذا خطأ أو مخالفاً لرواية يحيى فردوه إلى رواية

(1) قال القاضي عياض في الغنية (ص 43): وبعض شيوخنا يقول فيه الملخص - بكسر الخاء - وترجمة الكتاب تدل على الوجهين، فإذا كانت الترجمة الملخص لمسند الموطأ فهو بالكسر، قال ابن مكي في كتاب تقويم اللسان: كذا سماه مؤلفه وكذا هو في أكثر النسخ. وإذا كان (من مسند الموطأ). الغنية (ص 43). ونص كلام ابن مكي الصقلي في كتابه تثقيف اللسان وتلقيح الجنان (ص 206): «ويقولون الملخص بفتح الخاء، والصواب الملخص بكسرها، كذلك سماه مصنفه؛ لأنه لخص ما اتصل إسناده من حديث الموطأ». ونقل ابن رشيد السبتي في رحلته ملء العيبة (6/ 27 ق 1) عن الإمام أبي داود سليمان بن نجاح المقرئ أنه سأل شيخه أبا عمرو: كيف أخذتم على شيخكم بفتح الخاء أو بكسرها من ترجمة الكتاب فقال لي: كان شيخنا أبو الحسن يقرأ الملخص بكسر الخاء يجعله فاعلاً؛ يريد أنه لخص المتصل من حديث مالك، وتقدير الترجمة الملخص ما اتصل من حديث مالك للمتخفظين.

(2) الغنية (ص 43).

(3) فهرسة ابن عطية (ص 83).

يحجى، ولما حل هذا الكتاب إلى القيروان وقف عليه الفقيه أبو عمران الفاسي رحمه الله تعالى فاستحسنه، وقال: إنه أحسن من الملخص وأكثر فائدة. وصدق أبو عمران رحمه الله⁽¹⁾.

ومعلوم صلة أبي عمران بشيخه القابسي فهو أجل تلاميذه، ولا شك أن تقديم أبي عمران كتاب قرينه ابن عبد البر المسمى بالتقصي أو تجريد التمهيد على كتاب شيخه القابسي المسمى بالملخص فيه دلالة على تجرده في إصدار الأحكام وانتفاء التعصب عنه فالمنافسة التي تكون عادة بين الأقران تحجب أحياناً شمس الحقيقة ولا يستطيع التخلص من شررها إلا الموفقون من أهل العلم، ويبدو أن أبا عمران على معرفة تامة بكتاب الملخص وعدّد أحاديثه كما يتضح من نصّ ساقه أبو عبد الله محمد بن عمر بن رُشيد الفهري السبتي في رحلته ملء العيبة قال فيه: «قال الشيخ أبو عمران رحمه الله: بقي على الشيخ أبي الحسن رحمه الله حديث واحد لم يخرج، وهو مسند في الموطأ في جميع الروايات، وهو حديث مالك، عن عبد الله بن دينار، عن سليمان بن يسار، عن عروة بن الزبير، عن عائشة أنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «يحرم من الرضاعة ما يحرم من الولادة». وبه يتم جميع ما في الملخص خمسمائة حديث وعشرون حديثاً.

قلت: أظن الشيخ أبا عمران هذا هو الفاسي...»⁽²⁾.

(1) برنامج التجيبي (ص 68).

(2) ملء العيبة (6/ ق 27 أ - ب). نسخة مصورة عن مخطوطة خزانة الإسكوريال بإسبانيا برقم: (1737).

استدلّاه بالحديث ومعرفته بفقّهه:

إذا تتبعنا النقول عن تعليق أبي عمران الفاسي على المدونة فإننا نجده يسير على طريقة الفقهاء في تفرّيع المسائل وتخريجها على الأصول والاهتمام بأقوال الإمام مالك وكبار أصحابه وتصحيح الأقوال وتحقيق الروايات، وهو في نهجه هذا لا يخرج عن نمط العلماء الذين إذا ألفوا في علم من العلوم التزموا طريقة أهله⁽¹⁾؛ لكننا نقف أحياناً في كلامه ما يؤكد لنا معرفته بالحديث وفقّهه، فنجده يُجمل في الاستدلال بالحديث، أو يُؤمئ إليه، أو يستخرج بعض الاستنباطات الفقهيّة منه، فعلى سبيل المثال ورد في المدونة في مسألة الصلاة على الأعجمي الصغير قال مالك: إن كان أجاب إلى الإسلام أو علم فتشهد ضلّي عليه وإلا لم يُصلّ عليه. فعلق أبو عمران الفاسي على قول مالك - كما نقله عنه عياض - فقال: «ولما لم يفصل دلّ أن الكتابي والمجوسي سواء، قال: وقوله: «أجاب بأمر يعرف»؛ أي بإشارة أو مراطنة يريد وإن لم يفصح بالعجمية بدليل حديث السوداء»⁽²⁾، وفي مسألة الشفعة نقل عنه البرزلي قوله: «وقد ثبت عن النبي ﷺ إيجاب الشفعة»⁽³⁾.

ومن أمثلة دراية الشيخ أبي عمران الفاسي بفقّه الحديث أنه سئل: كيف لم تقتل عائشة المدبرة التي سحرتها والساحر يقتل؟ فقال: لعلها شكّت هل هو سحر أم لا؟ فتورّع عن قتلها، أليس أنها أقرّت بالسحر؟ فقال: لعلها أعطت لمن سحر لا أنها سحرت بيدها⁽⁴⁾.

(1) انظر المنهج العذب الروي في ترجمة قطب الأولياء النووي للسخاوي (ص 64).

(2) التنبّهات (2/ 161).

(3) فتاوى البرزلي (5/ 54).

(4) نقل عنه هذا الجواب البرزلي في فتاويه (6/ 18)، والنوشرسي في المعيار المعرب (9/ 198).

✧ عنايته بضبط الأسماء والألفاظ:

اعتنى أبو عمران الفاسي بإصلاح غلط المحدثين والفقهاء في ضبط بعض الأسماء والألفاظ الواقعة في الحديث النبوي؛ مما يدل على مدى عنايته بلغة الحديث النبوي، وأنه واحد من أولئك المحدثين الكبار الذين أولوا اهتمامهم لهذا اللون من علوم الحديث النبوي، ومن كلامه في هذا الباب ما نقل عنه القاضي عياض في ضبط سحنون بالفتح⁽¹⁾، وكذلك ما نقل عنه في ضبط خالد بن علاق كان يرى أن علاق مشددة، قال عياض: «وقرأت في تعليق عن القابسي بخط أبي عبد الله مكّي بن عبد الرحمن القرشي كافة أصحابنا يقولون علاق مشددة، وأصحاب الحديث يقولون علاق بالتخفيف وكسر العين، وصوّب القول الأول أبو عمران الفاسي»⁽²⁾، وورد في المدونة حديث خالد بن أبي عمران قال: «بينما رسول الله ﷺ يدعو على مضر إذ جاءه جبريل فأوماً إليه أن اسكت فسكت فقال: يا محمد إن الله لم يبعثك سبّاباً ولا لعائناً، وإنما بعثك رحمة ولم يبعثك عذاباً ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾»⁽³⁾⁽⁴⁾، فما ورد في هذا الحديث من نهي جبريل عن الدعاء

(1) التنبيهات (5/2).

(2) التنبيهات (2/23-24).

(3) سورة آل عمران، الآية (128).

(4) أخرج هذا الحديث أبو داود في كتاب المراسيل (ص 192-193) برقم (91) مطولاً، والبيهقي في السنن الكبرى (2/210)، وقال: هذا مرسل، ورواه الحازمي في الاعتبار في الناسخ والمنسوخ (1/360-361) برقم: (111)، وقال: هذا مرسل أخرجه أبو داود في المراسيل وهو حسن في المتابعات، وإسناد هذا الحديث مع إرساله فيه عبد القاهر بن عبد الله، قال عنه ابن حجر: مجهول. التقريب (ص 360) ترجمة (4143)، وقد جاء الحديث بسند صحيح عن عمر بن الخطاب إلا أنه موقوف، ودعاؤه صلى الله عليه وسلم على مضر ثم تركه الدعاء بعد ذلك ثابت في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. صحيح البخاري مع الفتح (11/193)، وصحيح مسلم (1/467).

عليهم علّله أبو عمران - كما نقله عنه عياض - بعدم تنفيرهم من الإسلام كما أنكر قول من قال فيه: "مصر" بكسر الميم والصاد المهملة، وقال: إنما هي مُصْرُ القبيلة بضم الميم والصاد المعجمة المفتوحة⁽¹⁾.

ومن الأمثلة على عناية أبي عمران الفاسي بضبط الألفاظ أنه ضبط لفظ عَرَق - الوارد في حديث: فأتي رسول الله بعَرَق تمر- بالفتح كما نقله عنه أبو حفص عمر ابن خلف بن مكي الصقلي (ت 501 هـ) في كتابه تثقيف اللسان وتلقيح الجنان إذ قال: «ويقولون: كان يغتسل من إناء هو الفرق من الجنابة - بإسكان الراء- وكذلك فأتي رسول الله بعرق تمر بالإسكان أيضاً، والصواب فتح الراء فيهما جميعاً، والفرق ثلاثة أصْوَغٍ، والعَرَق المِكْتَل. روي عن أبي عمران ~~بفتح الراء~~ أنه قال: رُوِيَنَاهُ بعَرَق بالإسكان، والصواب بالفتح»⁽²⁾، وأورد ابن مكي الصقلي عنه نقلاً آخر في ضبط عاشوراء وأنها بالهمز فقال: «ويقولون: هذا يوم عاشوراء، والصواب عاشورا بالمد، وقد حكى عن أبي عمرو الشيباني: عاشورا بالقصر، وروي عن أبي عمران رحمه الله أنه قال: ذكر سيبويه فيه بالمد والهمز، وأهل الحديث لم يضبطوه وتركوه على القصر وترك الهمز، قال: وأنا إنما أقرأ في هذه المعاني بما رأيته صواباً، ولا أقصر نفسي على الرواية»⁽³⁾، وهذا النص المنقول عنه في غاية الأهمية إذ يبين لنا موقفه من وقوع اللحن والتصحيح في الرواية وأنه ممن يتجاسر على إصلاحه وعدم الاقتصار على ما وردت به الرواية كما هو مذهب الحافظ محمد بن وضاح الذي أصلح مواطن

(1) التنيّهات (2/ 101).

(2) تثقيف اللسان وتلقيح الجنان (ص 206).

(3) تثقيف اللسان (ص 207).

كثيرة في الموطأ، ومن باب الإفادة فالقاضي عياض شنع على من سلك هذا النهج وانتصر للقول بالاختصار على الرواية وعدم التجاسر على الإصلاح⁽¹⁾.

❑ نشره للحديث وتصديه لإقرانه:

يُعَدُّ من البدهيات أن يتصدى الشيخ أبو عمران الفاسي لإقراء الحديث بالقيروان وإن كان جلَّ اشتغاله بالفقه والفتوى؛ لما عُرِفَ عنه من الرحلة إلى المشرق وكثرة الشيوخ وعلو الرواية، فمن كانت هذه حاله لا شك أن طلبه الحديث بالمغرب والأندلس وإفريقية سيتشوفون للأخذ عنه وسيتوافدون عليه، وهو ما حصل للشيخ أبي عمران إذ تقاطر على باب بيته الطلبة من كل الجهات والأنحاء فعقد لهم في بيته مجالس للمذاكرة والإملاء، فقد صرح القاضي عياض أنه كان يجلس للمذاكرة والسماع في داره من غدوة إلى الظهر، فلا يتكلم بشيء إلا كتب عنه إلى أن مات رحمه الله تعالى⁽²⁾، وذكر تلميذه وقرينه حاتم بن محمد الطرابلسي الأندلسي أنه خرج من عوالي حديثه نحو مائة ورقة⁽³⁾، وغالب الظن أنه خرج هذه الأحاديث العوالي لأجل إملائها على طلبه الحديث الذين يفدون عليه بالقيروان، ومن أسف أن هذه الأحاديث لم تصل إلينا وضاعت فيما ضاع من تراثنا الإسلامي الزاخر، لكننا نجدُ الحافظ الطائر الصيت أبا طاهر أحمد بن محمد السلفي الأصبهاني نزيل الإسكندرية (ت 576 هـ) يذكر في كتابه الوجيز في ذكر المُجاز والمُجيز أن أبا عمران الفاسي أملى بالقيروان حديث البطاقة بسنده الذي يرويه عن شيخه أبي الحسن

(1) الإلماع (ص 186)، ومشارك الأنوار (4/1).

(2) ترتيب المدارك (7/245).

(3) ترتيب المدارك (7/246).

القاسبي وأبي زيد عبد الرحمن بن يحيى العطار القرطبي، عن أبي القاسم حمزة بن محمد ابن علي الكناني الحافظ بمصر قال: أنبأنا عمران بن موسى بن حميد الطيب، حدثنا يحيى بن عبد الله بن بكير، حدثني الليث بن سعد، عن عامر بن يحيى المعافري، عن أبي عبد الرحمن الحُبلي أنه قال: سمعت عبد الله بن عمرو يقول: قال رسول الله ﷺ: «يُصَاحُ بِرَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُؤُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُنْشَرُ لَهُ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ سَجَلًا كُلُّ سَجَلٍ مِنْهَا مَدُّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ: أَتَنْكُرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ! فَيَقُولُ عَزَّ وَجَلَّ: أَلَيْكَ عُذْرٌ أَوْ حَسَنَةٌ؟ فَيَهَابُ الرَّجُلُ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ!.. بَلَى إِنْ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَاتٍ وَإِنَّهُ لَا ظُلْمَ عَلَيْكَ، فَتُخْرَجُ لَهُ بَطَاقَةٌ فِيهَا أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنْ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ. فَيَقُولُ: يَا رَبِّ! مَا هَذِهِ الْبَطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السَّجَلَاتِ⁽¹⁾! فَيَقُولُ عَزَّ وَجَلَّ: إِنَّكَ لَا تُظَلِّمُ. قال: فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة فطاشت⁽²⁾ السجلات وثقلت البطاقة⁽³⁾ قال حمزة: ولا نعلم راوي هذا الحديث غير الليث بن سعد وهو من أحسن الحديث، وبالله التوفيق⁽⁴⁾.

وحمزة الذي يروي أبو عمران الفاسي من طريقه هذا الحديث هو الإمام الحافظ أبو القاسم حمزة بن محمد بن علي بن العباس الكناني (ت 357هـ)، وقد جمع طرق هذا

(1) البطاقة الورقة، والسجل الكتاب الكبير.

(2) طاشت أي خفت؛ من الطيش وهو الخفة.

(3) أخرجه أحمد في مسنده (2/ 213)، والترمذي في جامعه (5/ 24-25) كتاب الإيمان، باب ما جاء فيمن يموت وهو يشهد أن لا إله إلا الله، حديث رقم: (2639)، وقال: هذا حديث حسن غريب، وابن ماجه في سننه (2/ 1437) كتاب الزهد، باب ما يرجي من رحمة الله يوم القيامة حديث رقم: (4300)، وابن حبان في صحيحه (1/ 461-462) برقم: (225)، والحاكم في المستدرک (1/ 529) وصححه ووافقه الذهبي، كلهم من طرق عن الليث بن سعد به.

(4) الوجيز في ذكر المجاز والمجيز (ص 60-61، 62).

الحديث في جزء مفرد مشهور عند حفاظ الحديث يعرف بجزء البطاقة⁽¹⁾، ومن المفيد التنبيه هنا إلى أن اختيار أبي عمران هذا الحديث ليكون ضمن الأحاديث التي يملئها في مجالسه الحديثية يدل على دقته في انتقاء هذه الأحاديث من جهة، وسعيه من جهة أخرى إلى ترسيخ عقيدة التوحيد في صفوف طلبته؛ لاسيما وقد عاش بعض شيوخه صراعاً مريراً ضد العبيديين في سبيل تثبيت عقيدة أهل السنة والوقوف في وجه مناوئتها.

ويبدو أن أبا عمران الفاسي قد شرع في عقد مجالس إملاء الحديث بالقيروان بعد وفاة شيخه أبي الحسن علي بن خلف القابسي (ت 403 هـ)؛ لأنه كان يُعَدُّ خليفته في العلم وكبير تلاميذه، ويؤكد هذا أن تلميذه أبا هارون موسى بن خلف بن عيسى التجيبي الأندلسي من أهل وشقة وقاضياها وفد إليه بالقيروان سنة سبع وأربعمئة قادماً من الأندلس، وسمع عليه صحيح البخاري⁽²⁾، وبناء عليه فالمدة التي قضها في التعليم وإقراء الحديث ونشره بالقيروان منذ هذا التاريخ إلى حين وفاته تمتد لنحو ربع قرن، وهي مدة لا شك أخذ عنه خلالها المئات، بل الألوف من الطلبة القادمين عليه من مختلف البلاد؛ وخاصة بلاد المغرب الأقصى التي ينتمي إليها ويتابع أخبارها، فكثير الآخذون عنه القادمون إليه من فاس وسبتة، بل كان من بين القادمين إليه الناهلين من بحر علومه عالم من سوس بجنوب المغرب، وهو الشيخ أبو محمد واجاج بن زلو اللمطي الذي استمرت صلته به حتى بعد عودته إلى المغرب، يقول صاحب كتاب مفاخر البربر: «...رحل إلى القيروان وقرأ بها على الشيخ أبي عمران الفاسي ورجع إلى السوس، وبنى داراً لطلبة العلم، وهو شيخ عبد الله بن ياسين؛ وهما

(1) طبع جزء البطاقة بتحقيق الدكتور عبدالرزاق البدر عن مكتبة دار السلام بالرياض عام (1412 هـ).

(2) التكملة لكتاب الصلة (2/ 173).

أعني واجاج وعبدالله بن ياسين كانا السبب في خروج المثلثين المعروفين بالمرابطين من الصحراء بأمر الفقيه أبي عمران في خبر طويل»⁽¹⁾.

وفي نهاية هذا البحث يمكن أن نقول إن أبا عمران كان من كبار المحدثين بالغرب الإسلامي في بداية القرن الخامس الهجري، ولم يكن متخلفاً عن نظرائه من المحدثين في المشرق لعلو سنده وقدم رحلته ووفرة شيوخه، مع الثقة والدين والفضل، فرحم الله أبا عمران الفاسي وجزاه عن الأمة الإسلامية خير الجزاء وخلّد ذكره في الصالحين.



(1) مفاخر البربر (ص 165).

قائمة المراجع والمصادر

- ❑ الاعتبار في النسخ والمنسوخ من الحديث، لأبي بكر محمد بن موسى الحازمي (ت 584هـ)، تحقيق أحمد طنطاوي جوهري، نشر دار ابن حزم بيروت، 2001م.
- ❑ الإكمال في رفع الارتباب عن المؤلف والمختلف من الأسماء والكنى والأنساب، لأبي نصر علي ابن هبة الله ابن ماکولا (ت 475هـ)، تحقيق: عبدالرحمن المعلمي ونايف الدعيس، نشر محمد أمين دمج بيروت، بدون تاريخ.
- ❑ الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع، لعياض بن موسى اليحصبي (ت 544هـ)، تحقيق السيد أحمد صقر، نشر مكتبة دار التراث بالقاهرة، المكتبة العتيقة بتونس، ط / 2، 1987م.
- ❑ الأنساب، لأبي سعد عبد الكريم بن محمد السمعاني (ت 562هـ)، قدم لها محمد أحمد حلاق، نشر دار إحياء التراث العربي بيروت، ط / 1، 1419هـ.
- ❑ برنامج التجيبي: القاسم بن يوسف السبتي (ت 730هـ)، تحقيق: عبدالحفيظ منصور، نشر الدار العربية للكتاب بليبيا وتونس، 1981م.
- ❑ بغية الملمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، لأحمد بن يحيى الضبي (ت 599هـ)، نشر دار الكتاب العربي بمصر، 1967م.
- ❑ تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، لأبي عبدالله محمد بن أحمد الذهبي (ت 748هـ)، تحقيق د. بشار عواد معروف، نشر دار الغرب الإسلامي بيروت، ط / 1، 1424هـ / 2003م.

- ❑ تاريخ بغداد أو مدينة السلام، لأبي بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي (ت 463هـ)، نشر دار الكتاب العربي ببيروت عن الطبعة الأولى للكتاب، بدون تاريخ.
- ❑ تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس، لأبي الوليد عبدالله بن محمد بن يوسف الأزدي المعروف بابن الفرضي (ت 403هـ)، عني بنشره وصححه السيد عزت العطار الحسيني، نشر مكتبة الخانجي للطبع والنشر والتوزيع، ط/ 2، 1408هـ.
- ❑ تثقيف اللسان وتلقيح الجنان، لأبي حفص عمر بن خلف بن مكّي الصقلي النحوي (ت 501هـ)، تحقيق: مصطفى عبدالقادر عطا، نشر دار الكتب العلمية ببيروت، ط/ 1، 1410هـ.
- ❑ تذكرة الحفاظ، لأبي عبدالله محمد بن أحمد الذهبي (ت 748هـ)، تحقيق: عبدالرحمن المعلمي نشر دار إحياء التراث العربي ببيروت، تصويراً عن طبعة وزارة معارف الحكومة العالية الهندية.
- ❑ ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، لأبي الفضل عياض بن موسى اليحصبي (ت 544هـ)، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب، ط/ 1، 1384-1403هـ.
- ❑ تقريب التهذيب، لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت 852هـ)، تحقيق: محمد عوامة، نشر دار الرشيد بحلب سوريا، ط/ 2، 1408هـ.
- ❑ التكملة لكتاب الصلة، لأبي عبدالله محمد بن عبدالله القضاعي المعروف بابن الأبار (ت 658هـ)، تحقيق: عبدالسلام الهراس، نشر دار الفكر ببيروت، دار المعرفة بالدار البيضاء، ط/ 1، 1996م.

- ❑ التنبهات المستنبطة على كتب المدونة والمختلطة، للقاضي عياض بن موسى السبتي (ت544هـ)، دراسة وتحقيق د. بنسالم الساهل، السنة الجامعية 1427هـ / 1428م.
- ❑ توضيح المشتبه في ضبط أسماء الرواة وأنسابهم وألقابهم وكناهم، لابن ناصر الدين الدمشقي (ت842هـ)، تحقيق محمد نعيم العرقسوسي، نشر مؤسسة الرسالة بيروت، ط/ 1، 1993م.
- ❑ جامع الترمذي: أبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة (ت279هـ)، تحقيق أحمد شاكر وآخرين، نشر مطبعة مصطفى البابي الحلبي بالقاهرة، ط/ 2، 1398هـ.
- ❑ جذوة المقتبس في ذكر ولاية الأندلس، لأبي عبدالله محمد بن فتوح الحميدي (ت488هـ)، قام بتصحيحه محمد بن تاويت الطنجي، نشر مكتبة الخانجي بالقاهرة، بدون تاريخ.
- ❑ الروض المعطار في خبر الأقطار، لمحمد بن عبد المنعم الحميري (ت727هـ)، تحقيق: د. إحسان عباس، نشر مكتبة لبنان بيروت، ط/ 2، 1984م.
- ❑ سنن ابن ماجه: أبي عبدالله محمد بن يزيد بن ماجه (ت273هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، طبع عيسى البابي الحلبي وشركاؤه بالقاهرة، نشر دار الكتب العلمية بيروت، بدون تاريخ.
- ❑ سير أعلام النبلاء، لأبي عبدالله محمد بن أحمد الذهبي (ت748هـ)، تحقيق: مجموعة من الأساتذة بإشراف شعيب الأرنؤوط، نشر مؤسسة الرسالة بيروت، ط/ 1، 1401هـ - 1405هـ.

- ❑ صحيح البخاري: أبي عبدالله محمد بن إسماعيل (ت256هـ)، ترقيم محمد فؤاد عبدالباقي، المطبوع مع شرحه فتح الباري لابن حجر العسقلاني، نشر المطبعة السلفية ومكتبتها بالقاهرة، 1380هـ.
- ❑ صحيح ابن حبان بترتيب علي بن بلبان الفارسي (ت739هـ)، تحقيق شعيب الأرنؤوط، نشر مؤسسة الرسالة ببيروت، ط / 2، 1414هـ.
- ❑ صحيح مسلم بن الحجاج النيسابوري (ت261هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، نشر دار إحياء الكتب العربية بالقاهرة، ط / 1، 1374هـ.
- ❑ الصلة في تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم ومحدثهم وفقهائهم وأدبائهم، لأبي القاسم خلف ابن عبد الملك المعروف بابن بشكوال (ت578هـ)، عني بنشره وتصحيحه السيد عزت العطار الحسيني، نشر مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط / 2، 1414هـ.
- ❑ الغنية فهرست شيوخ القاضي عياض (ت544هـ)، تحقيق: ماهر زهير جرار، نشر دار الغرب الإسلامي ببيروت، ط / 1، 1402هـ.
- ❑ فتاوى أبي القاسم البرزلي التونسي (ت841هـ)، تحقيق: محمد الحبيب الهيلة، نشر دار الغرب الإسلامي ببيروت، ط / 1، 2002م.
- ❑ فهرس علماء المغرب منذ النشأة إلى نهاية القرن الثاني عشر للهجرة، للدكتور عبدالله المرابط الترغي، نشر كلية الآداب بجامعة عبدالملك السعدي بتطوان، ط / 1، 2000م.
- ❑ فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والشيخات والمسلسلات، لمحمد عبد الحي بن عبدالكبير الكتاني (ت1382هـ)، تحقيق: د. إحسان عباس، نشر دار الغرب الإسلامي ببيروت، ط / 2، 1982م.

- ❑ فهرسة ابن عطية: أبي محمد عبدالحق بن عطية المحاربي الأندلسي (ت 541هـ)، تحقيق: محمد أبو الأجنان ومحمد الزاهي، نشر دار الغرب الإسلامي بيروت، ط / 2، 1983م.
- ❑ فهرسة ما رواه عن شيوخه، لأبي بكر محمد بن عمر بن خير الإشبيلي (ت 575هـ)، وقف على نسخها وطبعها ومقابلتها فرنسيه قداره زيددين وتلميذه خليان ربارة طرغوه، طبعة مصورة عن الأصل المطبوع في مطبعة قوش بسر قسطة سنة 1893هـ، نشر دار الآفاق الجديدة بيروت.
- ❑ قيس من عطاء المخطوط المغربي، لمحمد المنوني (ت 1420هـ)، نشر دار الغرب الإسلامي بيروت، ط / 1، 1999م.
- ❑ اللباب في تهذيب الأنساب، لأبي الحسن علي بن أبي كرم محمد بن محمد الشيباني الجزري المعروف بأبن الأثير (ت 630هـ)، دار صادر، بيروت 1400هـ / 1980م.
- ❑ المراسيل، لأبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني (ت 275هـ)، تحقيق عبدالله بن مساعد الزهراني، نشر دار الصمعي بالرياض، ط / 1، 1422هـ.
- ❑ المستدرك على الصحيحين، لأبي عبدالله محمد بن عبدالله الحاكم النيسابوري (ت 405هـ)، نشر دار الفكر بيروت عن طبعة الهند، 1398هـ.
- ❑ مشارق الأنوار على صحاح الآثار، للقاضي عياض بن موسى اليحصبي (ت 544هـ)، نشر المكتبة العتيقة بتونس ودار التراث بالقاهرة تصويرا عن طبعة السلطان مولاي عبد الحفيظ بفاس.
- ❑ معجم السفر، لأبي طاهر أحمد بن محمد السلفي الأصبهاني (ت 576هـ)، تحقيق: د. شير محمد زمان، نشر مجمع البحوث الإسلامية بالجامعة الإسلامية بإسلام آباد باكستان، ط / 1، 1408هـ.

- ❑ المعيار المغرب والجامع المغرب في فتاوي أهل إفريقية والأندلس والمغرب لأبي العباس أحمد بن يحيى الونشريسي (ت 914هـ)، نشر دار الغرب الإسلامي بيروت، ط/ 1، 1401هـ.
- ❑ مفاخر البربر، لمجهول، دراسة وتحقيق: عبد القادر بوباية، نشر دار أبي رقرق بالرباط، ط/ 1، 2005م.
- ❑ ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة في الوجهة الوجهة إلى الحرمين مكة وطيبة (السفر السادس)، لأبي عبد الله محمد بن عمر ابن رُشيد السبتي (ت 721هـ)، نسخة مصورة عن الأصل الخطي المحفوظ بخزانة دير الإسكوريال بإسبانيا برقم: (1737).
- ❑ المنهج العذب الروي في ترجمة قطب الأولياء النووي، لشمس الدين محمد ابن عبد الرحمن السخاوي (ت 902هـ)، تحقيق الدكتور محمد العيد الخطراوي، نشر مكتبة دار التراث بالمدينة المنورة، ط/ 1، 1409هـ.
- ❑ نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، لأحمد بن محمد المقرئ التلمساني (ت 1041هـ)، تحقيق: د. إحسان عباس، نشر دار صادر بيروت، 1388هـ.
- ❑ الوافي بالوفيات، لصلاح الدين الصفدي (ت 764هـ)، تحقيق أحمد الأرناؤوط وتركبي مصطفى، نشر دار إحياء التراث بيروت، ط/ 1، 1420هـ/ 2000م.
- ❑ الوجيز في ذكر المجاز والمجيز، لأبي طاهر السلفي (ت 576هـ)، تحقيق: د. عبد الغفور البلوشي، نشر مكتبة الإيمان بالمدينة المنورة، 1414هـ.
- ❑ وفيات قوم من المصريين ونفر سواهم، لأبي إسحاق إبراهيم بن سعيد بن عبدالله الحبال (ت 482هـ)، عني بتحقيقه إبراهيم صالح، نشر دار البشائر، بيروت، ط/ 1، 1416هـ/ 1995م.